دمعة

لشاعر الحب والجمال الرومنيين

للاديب عارف قياسه

فلنقطف الورود فى غدوة حياتنا ، ولنجن الرياحين في بكرة أعمارنا ، ولنتنسم على الأقل أريج أزهار الربيع الخاطف ، ولنتغمس قلبينا فى فيض اللذة النقية الطاهرة ، وليكن هوانا يا حبيبتاه بحراً مسجوراً لا حد لسعته

* * *

حين يبصر الربان زورقه الهش يتراقص فوق أعراف الموج الثائر ، ويرجحن على غارب الآذى الغضبان ، يكاد يزدرده اليم الهائج ، يرجع ببصره إلى الشطآن التى نأى عنها ، ويأسف على ما ذاق فيها من متع ، وما رأت عيناه من مباهج وفتون

* * *

واحسرتاه ! لشد ما يرغب فى أن ينفق أيامه الداجية فى مثوى آبائه وأجداده — غنياً عن فراق وطنه وآلهته — آمن السرب ، ناعم الخاطر ، لا يشمخ المجد بأنفه ، قرب آثار عزيزة عليه ، أثيرة لديه ، لا يبارح طيفها خاطره ، ولا يفارق خيالها ذهنه ولا مشاعره

* * *

كذلك الرجل الذى نفوس ظهره تحت أعباء السنين ،

على جدار فندق فى مدينة صغيرة تسمى الأسكندرية فتسلق الحائط فى بسالة عجيبة وانتزع العلم من موضعه ، وبينما هو نازل من أعلى الجدار إذ أصابته رصاصة فانكب على وجهه ، وتدفق الدم من قلبه على هذا العلم ، فكانت ميتته هذه ميتة بطل ، تركت فى نفوس أصحابه مالا يتركه النصر فى معركة حامية ... ولا تسل عما أصاب ارتيس يومئذ من هم وحسرة ... لقد حزن على هذا البطل كما كان يحزن لو أن الميت كان وحيده ؛ وجاءت بعده منية دوجلاس فكانت الميتتان فاتحة الكوارث فى هذا النضال العظيم ...

« يتبع » الطبيب

وآصار الأعوام ، يبكى ربيعه البهيج الزاهى — وقد ذهب إلى غير معاد ، مُرِه العين ، كليم الفؤاد ، ويهتف :

« ردى على يا آلهتى الرحيمة تلك السويعات المضمخة باللذة والنعيم ، فقد أنسيت أن أرشف رحيقها فى حينه ! »

ولكن المنية وحدها هى التى أجابته ، وتلك الآلهة لم تصغ لرجائه ، ولم ترق لبكائه ، وإنما حدقت إلى الرمس حدواً ، وزجته فى غياهبه زجاً ، دون أن تأذن له فى أن ينحنى فيلتقط تلك الأزاهير التى لم يتح له أن يجنيها ، فيستروح عرفها وشذاها ، ويفعم أنفه بعبقها ورياها

* * *

فلنتساق يا حبيبتاه أكؤس الهوى مترعة دهاقاً

ولنضحك ملء أفواهنا من الهموم التى تساور نفوس الأحياء ، وتخامر قلوب الأشقياء !

ولنرث لأولئك الذين أفنوا شطر أعمارهم ، سعياً وراء حطام الدنيا الكاذب ، وهبائها المغرور

* * *

لنعزف عن صلف أولئك الفارغ ، ولنصدف عن ادعائهم الأجوف ، ولندع الأمل العريض لمعلى الانسانية ، يتململون به ويتفكهون ، ولنسارع نحن إلى احتساء كأس عمرنا حتى ثمالتها ، ما امتطت تلك الكأس أكفنا

* * *

وسواء علينا أزانت مفارقنا تيجان الغار ، ونقشت أسماؤنا فى سجل (بلّون[1]) الصلفة الراعف ، على المرمر أو القلز

أم توج الحب جباهنا المتواضعة بزهرات بسيطة جناها الجمال ، فاننا جميعاً فى يم واحد طاوون ، وعلى شاطئ واحد نتحطمون

* * *

أليس سواء لدى المسافر الفريد ، ساعة الغَرَق : أكان راكباً فى سفينة شامخة شماء ، تشق بحيزومها عباب الماء ، تجاهد الزعازع وتصارع الأنواء ، أم كان ممتطياً زورقاً خفيفاً تلعب به الأمواج ، يلامس الساحل ، ولا يجسر أن ينأى عنه ؟

حماة (سوريا) عارف قياسه

---

(١) Bellone إلهة الحرب عند الأفريق